الجزء الأول

الأسس

الفصل 1

مقدمة

مايا كارتر هالورد وجولي نورمان Maia Carter Hallward and Julie M. Norman

في بعض الأحيان قد لا يتطلب الأمر أكثر من مبادرة من أحد الأشخاص لإطلاق حركة جماعية تدعو للتشكيك في أعمال الحكومة وجذب الاهتمام الدولي. إرديم قندوز، المعروف أيضًا باسم (الرجل الواقف)، هو واحد من هؤلاء الأشخاص، اعتراضه الصامت على القمع التركي لوسائل الإعلام والحريات المدنية خلال احتجاجات متنزه جيزي في العام 2013، ألهمت أعدادًا لا تُحصى من الناس للانضمام إليه، ففي مساء 17 حزيران/ يونيو من العام 2013، وبعد أن أصدرت الحكومة التركية حظرًا على التظاهرات، وقف قندوز بلا حراك في ميدان تقسيم في اسطنبول، مُوجِّهًا بصره ناحية مركز أتاتورك الثقافي، لم يتحرك رغم مضايقات الشرطة والمارَّة، وخلال الليل انضم المئات إلى قندوز في اعتراضه الصامت ضد الحكومة التركية، بدايةً في اسطنبول، ثم في أرجاء تركيا كافة وفي الخارج. وحسب قول ميريت أوزون محمد أحد المحتجين في ميدان تقسيم: (إذا هاجمونا ونحن متحدون ونطلق شعاراتنا، فسوف نحاول ألا نقوم بأيِّ شيء) (حسب ما ورد في برنباوم، 2013) (Birnbaum 2013).

وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالي في ميدان تقسيم، وصلت الشرطة التركية واعتقلت المحتجين الصامتين دون الأساليب السابقة التي استخدمت فيها مدافع المياه والغاز المسيل للدموع، ولكن على مرأى من وسائل الإعلام العالمية. ما بدأ كقضية محلية – حماية مساحة خضراء في اسطنبول– تحول إلى مشهد دولي. فالأمم المتحدة، والاتحاد الأوروبي، وجماعات من أمثال هيومن رايتس ووتش Human Rights Watch ومنظمة العفو الدولية، ودول مثل ألمانيا (التي منحت قندوز جائزة الإعلام [M100 Media Award] للأثر

الذي خلفه في أوروبا والعمل من أجل الديموقراطية وحقوق الإنسان (جايدزليفا 2013 (Gaydazhleva 2013)، أدانت الأساليب القاسية التي مارستها الشرطة ضد المحتجين مُطالِبَةً بخفض التصعيد والحوار (ماكليروي 2013) (McElroy 2013).

تصاعد الاهتمام باللاعنف على الصعيدَيْن العالمي والشعبي في السنوات الأخيرة، وقد أثاره إلى حدٍّ كبير الاحتجاجات والتظاهرات التي اتَّصفت بها الثورات المبكرة من (الربيع العربي)، والحشد العالمي لناشطي المدن في حركة (احتلوا وول ستريت) (Occupy Wall Street)، وتزايد استخدام وسائل الاتصال الاجتماعي، والتكنولوجيا الجديدة، والشبكات العابرة للحدود التي ضخمت مشاهدة حملات اللاعنف. في الوقت نفسه، وبعد أن أصبح الاستخدام واسع النطاق لأعمال اللاعنف أكثر بروزًا في وسائل الإعلام الغربية، كشفت بحوث جديدة عن توجهات تاريخية مهمة تتعلق بنتائج حركات المقاومة المدنية على عمليات التغيير السياسي (بارتكوفسكي 2013، شينوويث وستيفن 2011، شوك 2014 (Bartkowski 2013b; Chenoweth and Stephan 2011; Schock 2014)، قاعدة بيانات أعمال اللاعنف العالمية Global Nonviolent Action Database). ولذلك أصبح مفهوم اللاعنف الذي يشكل الأساس النظري لمظاهر (قوة الشعب) مجالًا ذا أهمية أساسية للطلاب والدارسين والممارسين وصُنَّاع السياسة، ولم يَعُدْ يُشار إليه على أنَّه حقلٌ فرعيٌّ من دراسات السلام، أصبح اللاعنف اليوم مفهومًا جوهريًّا للعاملين في حقول العلوم السياسية، والعلاقات الدولية، والسياسة العامة، والتغيير الاجتماعي.

فكيف نفهم، ونُعرِّف، وندرس اللاعنف؟ وما أصوله الفلسفية والتاريخية؟ وما الأساليب والإستراتيجيات المستخدمة في حركات اللاعنف، وكيف تعمل بطريقة مختلفة في بيئات متنوعة؟ وما القيود المفروضة على مناهج اللاعنف؟ وكيف هي ديناميكيات تحول حملات اللاعنف؟ حتى هذا التاريخ، لم يكن ثمة كتاب شامل يعالج هذه المسائل. لقد صمم كتاب (فهم اللاعنف: ملامح وسياقات) ليكون نصًّا محوريًّا لتوفير مراجعة دقيقة في حقل دراسات اللاعنف، مسترشدًا بخبرة علماء رئيسين في هذه القضايا، ويسعى هذا الكتاب

من خلال تقديمه مراجعة لتاريخ اللاعنف ومفاهيمه الرئيسة، وإبرازه التحديات الرئيسة التي يواجهها الدارسون والممارسون، إلى إشراك الطلاب في المناقشات المهمة المحيطة بدراسة حملات اللاعنف وتنفيذها.

مصاعب في تعريف اللاعنف

رغم التوسع الكبير في دراسة اللاعنف في السنوات الأخيرة، إلا أنَّ تعريف اللاعنف والحركات اللاعنيفة يواجه صعوبات جدلية بطبيعتها، وكما يتَّضح من اللغة المستخدمة في هذا الفصل ومن الكتاب كله، فإنَّ التعابير المستخدمة أيضًا لمناقشة اللاعنف، مثل العمل غير العنيف، والمقاومة المدنية، والعصيان غير المُسلَّح، والمقاومة الشعبية، والثورات غير العنيفة- تتباين خلال هذا الحقل كله. وتتبع هذه المصاعب جزئيًّا من حقيقة أنَّ عبارة (اللاعنف) تؤطر لمفهوم معاكس للعنف، يعطيه توجُّهًا سلبيًّا يشير إلى ما هو ليس عُنفًا بدلًا من أن يُعرِّف ما هو اللاعنف، كما يسهم هذا التعبير في سوء الفهم المحيط بما يشكل اللاعنف، فعلى الرغم من أنَّ الناشطين المشاركين في أعمال اللاعنف يمتنعون عن استخدام العنف البدني، فإنَّ خصومهم (مثل الشرطة أو الجيش) غالبًا ما يستخدمونه لاحتواء الناشطين أو قمعهم، وتَبَعًا لذلك فإنَّ وسائل الإعلام غالبًا ما تصف تلك المواجهات على أنَّها (مواجهات عنيفة بين المحتجين والشرطة)، والحقيقة أنَّ طرفًا واحدًا (الشرطة) هو من استخدم العنف. علاوةً على ذلك، فإنَّ حقيقة كون الدارسين والناشطين الذين يأتون لدراسة اللاعنف وممارسته من تشكيلة واسعة من العلوم والخبرات، فإنَّهم يسهمون في صعوبة إعطاء تعريف محدد للتعبير. فالافتراض (الزائف) الذي يحمله العديد من عامَّة الناس؛ بأنَّه ينبغي على المرء أن يكون ملتزمًا أخلاقيًّا باللاعنف، وأن يرفض العنف كليًّا كي ينخرط في نشاط اللاعنف، يثير الكثير من البلبلة حول هدف اللاعنف؛ لأنَّ الناشطين يشاركون في أعمال اللاعنف لخليط من الأسباب (المبدئية) و(البرغماتية). وكما نهدف لأن نبين في هذا الكتاب، فإنَّ تنوع مناهج استخدام اللاعنف يُتيح تطبيقه واستخدامه في ملامح وسياقات متنوعة، بدلًا من أن تكون قيدًا عليه، فيُقدِّمُ كل فصل تفسيرًا وتطبيقًا

مختلفًا بقدر قليل للاعنف، ونحن ندعو تلاميذنا لأن يفكروا بطريقة نقدية حول أفضل مكان وزمان يستخدم فيه تعبير (اللاعنف).

وعلى الرغم من التعريفات المختلفة، فإنَّ التعريفات التالية تعكس على نحو أفضل فهمنا للاعنف للسير بهذا الكتاب.

أولًا، فسره كورت شوك في كتابه العصيان غير المسلح (2005، ص.6) Kurt Schock, Unarmed Insurrection, 2005, P.6 بقوله:

> أعمال اللاعنف غير عنيفة، فهي لا تشتمل على عنف بدني أو تهديد بعنف بدني ضد إنسان آخر، كما أنَّها نشطة، فهي تشتمل على نشاط جماعي سعيًا لتحقيق أهداف اجتماعية أو سياسية. بتحديد أكبر، تشتمل أعمال اللاعنف على عملية نشطة لممارسة ضغط سياسي، أو اقتصادي، أو اجتماعي، أو عاطفي، أو أخلاقي على الممسكين بزمام السلطة في التعاملات المثيرة للخلافات بين فعاليات جماعية. العمل اللاعنيف غير مؤسسي، بمعنى أنَّه يعمل خارج حدود القنوات السياسية المؤسسية، كما أنَّه غير محدد؛ أَيْ أنَّ الإجراءات الخاصة بتقرير نتيجة النزاع لا تتحدد سلفًا.

بالمثل، تعرف نيبستاد (Nepstad, 2011b, p. xvii) اللاعنف بأنَّه (صيغة ذات قاعدة مدنية للصراع، تستخدم أشكالًا عدة من القوة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية دون اللجوء إلى العنف أو التهديد به). ويعرف آدم روبرتس Adam Roberts (2009، ص.2) هذا المفهوم بعبارة (المقاومة المدنية)، وهي عبارة استُخدمت بدلًا من، أو إضافة إلى (اللاعنف) في فصول عدة من هذا الكتاب، وذلك بقوله:

> المقاومة المدنية نوع من العمل السياسي يعتمد على استخدام الطرق غير العنيفة، وهي تتضمن تشكيلة من الأنشطة المتواصلة واسعة الانتشار التي تتحدى سلطة، أو قوة، أو سياسة، أو نظامًا مُعيَّنًا، ومن هنا جاءت عبارة (مقاومة). تشير صفة (مدنية) في هذا السياق إلى ما يخصُّ المواطن أو المجتمع، وتعني ضمنًا بأنَّ أهداف الحركات (مدنية)؛ بمعنى أنَّ المجتمع يشترك فيه على نطاق واسع، وتشير أيضًا إلى أنَّ العمل ذا الصلة ليس عسكريًّا أو غير عنيف بطبيعته.

الجدول 1.1 حدود أعمال اللاعنف والسياسات التقليدية

أعمال اللاعنف	السياسات التقليدية	العنف	القضايا الخلافية
حرق بطاقة التجنيد قضاء مدة في السجن بدلًا من التطوع	طلب الخدمة على أساس الاعتراض ضميريًّا	مضايقة أو مهاجمة أفراد الجيش بدنيًّا	التضحية بالنفس اعتراضًا على الحرب
مسيرات في الأماكن التي تمنع فيها التجمعات	مناطق فيها المسيرات معتادة	مسيرات يهدد فيها باستخدام العنف	مسيرات يهدد فيها باستخدام العنف و/ أو تخريب الممتلكات
ملاك الأراضي يقودون ببطء شديد على طرقات المنطق لمنع شاحنات خط أنابيب كيستون	حملة من كتابة رسائل ضد خط نفط؛ مرشحون لمنصب محلي معارضون لخط نفط	احتجاز عمال شركة نفط رهائن	تخريب أنابيب النفط
إجبار الحكومة على الاستقالة من خلال تدفق ملايين المواطنين في مصر 2011	إطلاق حملة سياسية للتصويت على إخراج زعيم غير محبوب من منصبه	القيام بانقلاب عسكري لعزل قائد	حرق مبنى مكاتب الحزب السياسي لزعيم مستبد بعد ساعات

التعريفات أعلاه يتردد صداها معنا لأنَّها تؤكد الطبيعة البنَّاءة للاعنف، الذي يسعى لخلق بنية اجتماعية جديدة أو هياكل جديدة من العلاقات بدلًا من تحطيم الهياكل القائمة (ماتايني 2003) (Mattaini 2003). والمثال على ذلك ما ورد لدى زونس وكورتز Zunes & Kurtz (1999، ص 314): «إقامة هياكل بديلة توفر دعامات أخلاقية وعملية للجهود عند إحداث تغييرات اجتماعية أساسية».

إنَّ المرء يسمع بين الحين والآخر عن (المقاومة السلبية) التي انتهى عهدها وتستخدم لوصف حركات اللاعنف، هذا التصوير غير الدقيق دحضه غاندي قبل قرن من الزمن تقريبًا، لأنَّ اللاعنف يعني - ضمنًا- أمورًا أكثر من (عمل الامتناع)، ويشتمل على مكون إيجابي يوجه نحو خفض الظلم الاجتماعي وبناء ثقافة السلام،(مايتون 2001،ص 143) Mayton, 2011.

ويسهم هذا الطرح (غير الصحيح) لأعمال اللاعنف على أنَّها سلبية أو سلمية في تنامي الانتقادات الأكثر رواجًا لأعمال اللاعنف، فيجادل بعضها - على سبيل المثال- بأنَّ الدعوة إلى اللاعنف، عند مساواتها بالأعمال السلمية، تدعو الأطراف المتضررة إلى نبذ حقها في المقاومة (المسلحة)، بينما لا تطلب الأمر نفسه ممَّن هم في السلطة (بارتكوفسكي 2013، جيلدرلوس 2007) (Bartkowski 2013b; Gelderloos 2007). وفي الوقت نفسه يرفض آخرون أعمال اللاعنف إن لم يكن فيها رفضًا أخلاقيًّا واضحًا وجليًّا لاستخدام السلاح من قبل الناشطين المشاركين، إلا أنَّ الممارسين لأعمال اللاعنف لا يكونون - بالضرورة أو عادة- أشخاصًا مسالمين. والواقع أنَّ جورج لاكي George Lakey مؤسس (قاعدة بيانات أعمال اللاعنف العالمية) التي تحتضنها كلية سوارثمور[1]، قال: (معظم السلميين لا يمارسون المقاومة اللاعنيفة، وجميع الناس الذين يمارسون مقاومة اللاعنف ليسوا سلميين)، (المذكور في Schock 2005, p. 11).

كما أشارت هانا أرنت إلى سخافة وصف اللاعنف بأنَّه (مقاومة سلبية)؛ لأنَّها واحدة من أكثر الطرق التي استُهلكت فعالية وكفاءة، ولأنَّه لا يمكن مواجهتها بالقتال، (المذكور في Bharadwaj 1998, p. 79). والواقع أنَّ قوة المعارضة اللاعنيفة قد تبلغ حدًّا يجعل المناوئين يشعرون وكأنَّ عنفًا قد وقع عليهم، وكما لاحظت ديمنج (Deming, 1971, p. 205)، فإنَّ ناشطي اللاعنف يستخدمون شكلًا من أشكال القوة، وليست المناشدة الأخلاقية وحسب، تقول: «إذا كانت أعمال اللاعنف جريئة بالقدر الذي يجب أن تكون عليه، فإنَّ بعضًا من الناس الذين يقاومون التغيير سوف يشعرون حتمًا بأنَّ جرحًا قد أصابهم؛ لأنَّهم يشعرون بأنَّ زعزعة الطريقة التي اعتادوا عيش حياتهم بموجبها بمثابة جرح».

باستخدام الأساليب غير المُسلَّحة بهذه الطريقة، فإنَّ اللاعنف يختلف عن التسامح، أو المصالحة، أو الحوار، أو التطبيع. وبالمثل تشير أعمال اللاعنف إلى سياسات غير تقليدية خارج المجال المعتاد للنشاط السياسي (مارتن 2009 أ) (Martin 2009a)، كما يتميز عن العمليات الانتخابية والإجراءات الديموقراطية العادية. ويبين شوك أنَّ «أعمال

اللاعنف وسيلة لمواصلة النزاع، وينبغي تمييزه عن وسائل حل النزاع» شوك 2005، ص،8 (Schock 2005, p. 8). إضافة إلى ذلك، تختلف أعمال اللاعنف عن تقنيات (عدم العنف)، أو توسط طرف ثالث، أو التفاوض في إدارة النزاعات. وبالمثل، وعلى الرغم من أنَّ التصويت والضغط من خلف الكواليس لا يشتمل على عنف بدني، فإنَّه يحدث من خلال قنوات مؤسسية لا تُعَدُّ بحدٍّ ذاتها من أعمال اللاعنف (شوك 2005؛ ماكارثي وكروجلر 1993) (Schock 2005; McCarthy & Kruegler 1993).

تبحث الفصول المتعلقة بقسم (الملامح) في هذا الكتاب تنوع الإستراتيجيات والأساليب التي تستخدمها حركات اللاعنف. وفي حين تختلف بعض الأنواع المحددة، فإنَّ الطبيعة النَّشِطَة والمثيرة للجدل لنشاط اللاعنف تبدو واضحةً جليَّةً في دراسات الحالة المختلفة.

لماذا اللاعنف؟

لماذا تختار الحركات الطرق غير المسلحة في الصراع؟ وما الذي تأمَلُ في تحقيقه؟ نقول مرة أخرى: في الوقت الذي تكون فيه أهداف الحركات وأغراضها مُتباينة حسب البيئة، فإنَّ جذور اللاعنف تكمُنُ إلى حدٍّ بعيدٍ في إعادة توزيع السلطة، حيث تهدف معظم إستراتيجيات اللاعنف إلى (تجريد) الممسكين بالسلطة من أهم مصادر سلطتهم؛ بالالتفاف على أبرز أدواتهم القهرية (آش 2009،ص. 375) (Ash 2009, p. 375). وإنَّ تصوير السلطة على أنَّها «مشتتة أو غير متجانسة أكثر ممَّا هي متماسكة أو متجانسة ...، وأنَّها وليدة علاقات وليست وليدة ذاتها»، يجعل حركات اللاعنف تسعى إلى التشكيك في طاعة الناس العاديين ورضوخهم للبدء في إحداث تغيير اجتماعي- سياسي واقتصادي (أتاك 2006، ص.89) (Atack 2006, p. 89).

إلا أنَّه حين تتزعزع تلك السلطة، فإنَّ العلماء يميزون ما بين اللاعنف (الثوري)، الذي يسعى إلى إحداث تغيير جذري في البنية الاجتماعية وفي أنماط العلاقات التي تتسبب في

استمرار النزاع، وبين اللاعنف (الإصلاحي)، الذي يسعى إلى تغيير القادة أو السياسات (شوك 2005؛ سبينس وماكلود 2002) (Schock 2005; Spence & McLeod 2002). ومع ذلك فهناك من يركزون على دور اللاعنف في السعي إلى إنهاء حروب معينة، وتعزيز العدالة ودمجها مع السلام، وأن تعمل بوصفها صيغةً (دائمة وثابتة) للحركة الاجتماعية (وير 1995، ص. 83) (Wehr 1995, p. 83). وحسب ما أشار غاندي، فإنَّ «الثورة غير العنيفة ليست مجرد برنامج للاستيلاء على السلطة، فهي برنامج لتغيير العلاقات، تنتهي إلى انتقال السلطة بشكل سلمي» (استشهد بها ميرتون 1965، ص. 28) (cited in Merton 1965, p. 28).

ومن ضمن الحجج التي تؤيد اللاعنف الإستراتيجي - بالنسبة للأطراف الضعيفة تقليديًّا من ناحية عدم حصولها على مدخل للرموز التقليدية للسلطة الفعلية- أنَّه يوفر آلية لتحقيق مساواة أعظم في النزاع من أجل التحرُّر من الاضطهاد، كما أنَّه يسمح بمشاركة ذات قاعدة أوسع مع أفراد من جميع الخلفيات الاجتماعية، وقادرين على المشاركة في حركات اللاعنف بالتخلي عن قبولهم للنظام (بهارادواج 1989، ص. 79) (Bharadwaj 1998, p. 79).

ولقدرة المقاومة اللاعنيفة على الحشد، فقد كانت أكثر فاعلية في تحقيق الأهداف المتعلقة بتغيير النظام أو الانفصال، أو مقاومة الاحتلال الأجنبي، من النزاعات المُسلَّحة (شينوويث وستيفن 2011) (Chenoweth and Stephan 2011). وعلى الرغم من إدراك معظم الدارسين والممارسين لاحتمالية تعرُّض ممارسي اللاعنف للمعاناة على يد خصومهم الذين لا يشاركونهم الالتزام بعدم استخدام العنف، فقد لاحظوا أنَّ التسبب في المعاناة غالبًا ما يرتدُّ على الأنظمة القمعية بمرور الوقت (نبستاد 2011ب؛ شينويث زستيفن 2011) (Nepstad 2011b; Chenoweth & Stephan 2011). إضافة إلى ذلك، فإنَّ النزاعات المُسلَّحة - وجزئيًّا بسبب الطراز الهرمي للحملات العسكريَّة- غالبًا ما تتحول إلى أنظمة سلطوية بخلاف حملات اللاعنف، التي هي بطبيعتها غير هرمية، وتعتمد على القواعد الشعبية، وتشمل جميع القطاعات (بارتكوفسكي 2013 أ، ص.351) (Bartkowski 2013a, p. 351). وفي الواقع، ولأنَّ أعمال اللاعنف تعتمد بطبيعتها على المشاركة بشكل عام، فإنَّ من الصعب استخدام تقنيات

اللاعنف لبناء أنظمة قمعية (مارتن 2009 أ). وبوجه عام فإنَّ وسائل اللاعنف الديموقراطية ستتمخَّضُ -على الأغلب- عن نهايات أكثر ديموقراطية (سومّي 1993؛ مارتن 2009 أ) (Summy 1993; Martin 2009a).

على المستوى الفردي، يختار الكثيرون المقاومة اللاعنيفة؛ لأنَّها تتفق مع نظرتهم وأيديولوجيَّتهم العالمية (سميثي 2013، ص.43) (Smithey 2013, p. 43). وفي الوقت الذي لا يتقيَّد فيه الكثيرون بمستوى غاندي من الانضباط والالتزام باللاعنف (غاندي نفسه أقرَّ استخدام السلاح في ظروف معينة (لوسوردو 2010، ص.96) «Losurdo 2010, p. 96»)، فإنَّ هناك الكثيرين قد اختاروا الكفاح من خلال اللاعنف؛ لأنَّه يتفق مع معتقداتهم المتعلقة بقدسية الحياة، من ذلك أنَّ أعضاء كنائس السلام التاريخية، مثل الكويكرز، والمينونايت، والأخوة، وكذلك الناشطين المشاركين في عمل تابع لجهات علمانية أو دينية، يمارسون معتقداتهم حين يقفون ضد النزعة العسكرية أو يسعون لمواجهة الظلم بوسائل غير عنيفة.

ومن الأسهل الحصول على التزام بالمقاومة غير المسلحة من جماعات تطالب بتحسين حقوقها، حيث تتفق الوسائل مع الغايات المرجوَّة، والمثال ذلك أنَّه قد يرى الطلاب الذين يشنُّون حملة لزيادة حقوقهم، أو الأقليات التي تسعى للاعتراف بها، أنَّ الكفاح المُسلَّح لا يتفق وحججهم حول دواعي استحقاقهم لتلك الحقوق. ومثل ذلك، فإنَّ عقائد اللاعنف غالبًا ما تتفق مع الهويات التي تُعرِّف بها عن نفسها الجماعات المنخرطة في حملات العدالة الاجتماعية أكثر من جماعات الكفاح المسلح. ولذلك يشير مركز مارتن لوثر كينج للتغيير الاجتماعي غير العنيف - على سبيل المثال- إلى ستة مبادئ يقوم عليها اللاعنف، منها دعوة «لمهاجمة قوى الشر، وليس الأشخاص الذين يقترفون الشر؛ كي نتقبَّل المعاناة دون انتقام من أجل القضية وتحقيق الهدف»، والاعتقاد بأنَّ «الكون يقف إلى جانب العدالة».[2]

مع ذلك، فإن قرار ممارسة اللاعنف قد يكون موضع خلاف، فالنقاد يقولون بأنَّ اللاعنف يجري تشجيعه من قبل المستفيدين من استمرار احتكار الدولة للعنف، وأنَّ النجاح النسبي لحركات اللاعنف يعود جزئيًّا - على الأقل- لتفضيل هياكل السلطة القائمة

التعاملَ مع قادة اللاعنف (من أمثال مارتن لوثر كينج الابن) على التعامل مع آخرين لديهم نزعة عسكرية أكبر. ويجادل فرانز فانون – على سبيل المثال– بأنَّ اللاعنف يخدم مصالح القوى الاستعمارية، وأنَّ العنف كان أسلوبًا مشروعًا في الصراعات الثورية (كوي 2013؛ جيلدرلوسس 2007) (Bartkowski 2013b; Gelderloos 2007). إضافة إلى ذلك، وحيث إنَّه لا يوجد فرز لمن يستطيع استخدام طرق اللاعنف، فقد تكون هناك حالات قد تتبنى فيها الدولة وسائل غير مسلحة لدعم أنظمة العنف، إلا أنَّه وتحديدًا بسبب الأبعاد الهيكلية العريضة للسلطة والعنف، لا يمكن احتساب جميع الأعمال (غير المسلحة) على أنَّها أعمال (لا عنف)، كما أنَّ اللاعنف قد لا يكون الطريقة الأفضل في وضع معين، ففي بعض الأحيان تتم الدعوة إلى الحوار كخطوة تمهيدية، أو ربما تكون هناك حاجة إلى تنظيم المجتمع لوضع أسس التغيير الاجتماعي قبل المشاركة في أعمال اللاعنف. (مارتن 2009) (Martin 2009).

لقد وفرت دراسات الحالة التي تضمنها هذا الكتاب عددًا من أسباب ودوافع اختيار الجماعات والأفراد للمقاومة اللاعنيفة، وبيَّنت كيفية استغلالهم لها في مسار كفاحهم. وكما تبين فصول قسم (السياقات) في هذا الكتاب، فإنَّ حركات اللاعنف تتبع تشكيلة من الأهداف والأغراض لتحقيق نتائج مختلفة، إلا أنَّ جميعها يشارك بطريقة ما في تحويل علاقات القوة القائمة.

الخطوط العريضة للكتاب

قُسِّم هذا الكتاب إلى ثلاثة أجزاء؛ حيث بيَّن الجزء الأول المواد الأساسية التمهيدية لدراسة اللاعنف (الفصلان 1و2)، وتناول الجزء الثاني الأطر الأساسية والمواضيع المتشعبة في دراسة اللاعنف (الفصول من 3–6)، وركز الجزء الثالث على سياقات مختلفة لدراسة اللاعنف (الفصول من 7– 10). فنأمل أن يوفر هذا فهمًا عامًّا لنظرية اللاعنف وممارستها، قبل كشف كيفية انبثاق الصراعات التي لا تستخدم العنف وتلعب دورًا في البيئات الاجتماعية – السياسية والجغرافية المختلفة.

وكان قصدنا من هذا الكتاب إظهار التفاعل بين النظرية والتطبيق، إضافة إلى المناهج المتباينة ومتعددة الأوجه المستخدمة لدراسة اللاعنف وممارسته.

بعد مراجعة التاريخ الذي عُرِضَ في الجزء الأول من هذا الكتاب، يبحث الجزء الثاني في (ملامح) اللاعنف، والمواضيع والمناهج العامة التي تقود صراعات اللاعنف وتشكلها بأنواعها كافة. ويبحث الفصل الثالث (مناهج روحية ودينية في اللاعنف) -بقلم محمد أبو نمر- Spiritual and Religious Approaches to Nonviolence," by Mohammed Abu-Nimer في تأثير الأخلاق، والفلسفة، والروحانية، وينظر في الحجج القائلة بأنَّ اللاعنف لا يفصل الغايات عن الوسائل، وبذلك يزود الناشطين بمكانة أخلاقية عالية وبشعور أعمق للالتزام بالقضية والاستعداد لتحمل المعاناة في وجه الإجراءات المضادة القمعية، على الرغم من الجدال القائم على أنَّ الزعماء الدينيين غالبًا ما يمتنعون عن استخدام الحجج الدينية في حملاتهم غير العنيفة، ويعود ذلك جزئيًّا لاعتبارات إستراتيجية. وهنا يعارض محمد أبو نمر - مستخدمًا دراسة حالة الربيع العربي في مصر- الفرضيات الشائعة، ليس تجاه اللاعنف القائم على المبادئ وحسب، بل أيضًا تجاه اللاعنف في العالم العربي. ويبحث الفصل الرابع (مناهج تكتيكية وإستراتيجية في اللاعنف) بقلم هوارد كلارك Tactical and Strategic Approaches to Nonviolence, by Howard Clark، في الإستراتيجيات والأسباب المنطقية الدافعة لمتابعة اللاعنف، دون الاضطرار لتقديم مسوِّغات أخلاقية. ويركز الفصل على حالات كوسوفو والتشيلي لبيان ديناميكيات وتحديات النضال اللاعنيف المُوجَّه بصورة برغماتية، ويثير أسئلة تتعلق بالأوضاع التي قد تكون فيها حملات اللاعنف أكثر أو أقل نجاحًا، كأن يكون النظام القمعي غير معتمد على الشعب في دعمه وشرعيته، إضافة إلى استكشاف أهمية البيئة المحلية لوضع الإستراتيجية المناسبة.

يبحث الفصل الخامس (مسائل الإستراتيجية) بقلم ستيفن زونس Questions of Strategy, by Stephen Zunes، في كيفية أنَّ المشاركين في صراعَيْن ضد الاستعمار (حركة الاستقلال في الصحراء الغربية والحركة المناهضة للفصل العنصري في جنوب أفريقيا)،

قد تحولوا إلى إستراتيجيات غير عنيفة في المقام الأول بعد اعتمادهم على أساليب حرب العصابات، وهو يناقش الأسباب الإستراتيجية التي تدفع حركة ما إلى المشاركة في المقاومة غير المسلحة وإن لم تتخلَّ عن حقها في المقاومة المسلحة، إضافة إلى إستراتيجيات وأساليب عامة استخدمها الناشطون بنجاح. ونظر الفصل في التحديات التي تواجه الناشطين الذين لا يستخدمون العنف، بما في ذلك ميل الدول الصناعية في الجزء الشمالي من العالم إلى تزويد الأنظمة السلطوية بالسلاح وأشكال الدعم الأخرى. ويأتي الفصل الأخير في الجزء الثاني (وسائل الإعلام الجديدة والتأييد) من تأليف سرديا بوبوفيتش ومارسيلا ألفاريز New Media and Advocacy, by Srdja Popovic and Marcella Alvarez، ليناقش نقدية حول الطريقة التي تسهم بها وسائل الإعلام الاجتماعية والأدوات التكنولوجية (مثل فيسبوك وتويتر وغيرهما من المنابر الرقمية) في حملات اللاعنف، إضافة إلى دور وسائل الإعلام والتكنولوجيا الجديدة في تنظيم الحملات ونشر الكلمة في الميدان، ويناقش الفصل قيود التكنولوجيا، ولاسيَّما كيف تستطيع الدول والجهات الأخرى المستهدفة باللاعنف إغلاق خوادم الإنترنت أو استخدام التكنولوجيا للاستخبار عن الناشطين.

أمَّا الجزء الثالث فيبحث في ثلاثة سياقات مختلفة، استخدمت فيها أعمال اللاعنف لتفعيل مستويات مختلفة من التغيير الاجتماعي السياسي والاقتصادي. ويقدم الفصل السابع (الحقوق المدنية والسياسة المحلية) بقلم باتريك كوي وأماندا كلارك Civil Rights and Domestic Policy," by Patrick Coy and Amanda Clark، دراسة حالة معمقة حول حركة اعتصام طلابي في ناشفيل- تينيسي، خلال التضامن من أجل الحقوق المدنية الأمريكية، مستخدمًا إطار عمل آدم كيرلي المعروف بعبارة (مصفوفة تقدم الصراع)، ومُطبِّقًا نموذج أعمدة الدعم على الحركة نفسها، وقد بيَّن كيف تمارس المجتمعات المحلية المحرومة اللاعنف داخل الدولة؛ لتحسين حقوقها المدنية والاجتماعية ضمن بيئتها المحلية أو الوطنية. ويركز الفصل الثامن (الثورات والتحولات الديموقراطية) بقلم ماشيج بارتكوفيسكي Revolutions and Democratic Transitions," by Maciej J. Bartkowski، على حركات اللاعنف التي تهدف إلى إسقاط الأنظمة السياسية بدلًا من إصلاحها. واعتمادًا

على بحث شينوويث وستيفان اللذين يعترضان على الافتراض الشائع بأنَّ العنف طريقة أكثر فاعلية لتحدي خصومة ضارية من الدولة، ويُفنِّدان فكرة أنَّ المقاومة اللاعنيفة لا يمكن أن تنجح إلا في بيئة ديموقراطية، يناقش هذا الفصل دور إستراتيجيات اللاعنف في الصراع ضد الأنظمة غير الديموقراطية، وفي السعي لتحقيق الاستقلال وتحدي الاضطهاد السياسي، كما يكشف دور اللعبة ذات المستويين في توسيع ميدان معركة اللاعنف وزيادة الدعم لأهداف الناشطين، ويقول بأنَّ طرق اللاعنف أكثر ميلًا للمساهمة في التحول إلى الديموقراطية من إستراتيجيات المقاومة المسلحة.

ويبتعد الفصلان التاسع والعاشر عن التأكيد التقليدي لِـ (الحركات المؤيدة للديموقراطية) للسير نحو التركيز الأكبر على الاقتصاد، ويستعرضان الحركات التي تعمل من أجل العدالة الاجتماعية وضد العنف المنظم، فالفصل التاسع (الحركات الريفية والسياسة الاقتصادية) لكيرت شوك Rural Movements and Economic Policy," by Kurt Schock، يقارن بين ثلاث حالات احتشد فيها الفلاحون أو العمال بشكل غير عنيف لمعالجة قضايا الأراضي، وحقوق العمال، والسياسات الاقتصادية التي تؤثر فيهم سلبيًّا؛ بكشف حركة عمال الريف المُعدَمين في البرازيل، وعمال المزارع المتحدين في كاليفورنيا، وجمعية الفقراء في تايلاند، ويعطي الفصل صوتًا لفلاحي الريف والمزارعين الذين غالبًا ما يتم إهمال نضالهم بسبب تحيُّز الكثير من وسائل الإعلام ودراسات علم الاجتماع في المناطق الحضرية ضد حركات اللاعنف. أمَّا الفصل العاشر (الحركات العابرة للحدود والمجتمع المدني العالمي)، لبيتر (جاي) سميث Transnational Movements and Global Civil Society," by Peter (Jay) Smith، فيحلل الأبعاد العابرة للحدود لحملات اللاعنف؛ حيث إنَّ هذا النشاط يتجاوز بشكل متزايد الحدود الدولية، وباستخدام دراسات الحالة للمنتدى الاجتماعي العالمي و(لا فيا كامبسينا) the World Social Forum and La Via Campesin –وهي واحدة من أكبر الشبكات العابرة للحدود– يبين الفصل أنَّ حركة العدالة العالمية حين تدعو إلى اللاعنف، فإنَّها لا تُعرِّفه بوضوح، ولا يمكنها فرضه على تشكيلة متنوعة من الدول، والقضايا، والفعاليات. وباستخدام مفهوم السياسة سابقة التصور (prefigurative politics)

لدراسة العلاقة ما بين ممارسات الجماعات ذات الصلة بحركة العدالة العالمية والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، يناقش الفصل تحديات الاحتفاظ بالتماسك عبر شبكة مفككة من المجموعات الناشطة المنظمة بشكل أفقي مع درجات متباينة من الالتزام باللاعنف.

ويبرز الفصل الختامي من هذا الكتاب (التوجهات المستقبلية Future Directions) المواضيع المشتركة في دراسات الحالة، بما في ذلك العلاقة بين البنية والوكالة وتواصل العنف- اللاعنف والمناهج المبدئية- البرغماتية. وتُمعِنُ الخاتمة النظر في التحديات الحالية في الميدان، وتستكشف مجالات جديدة للدراسة، من ضمنها دور وسائل الإعلام الجديدة، واستخدام الأعمال الصغيرة الساخرة في المقاومة. وتثير - في الختام- أسئلة، وتطرح اقتراحات للمواطنين والطلاب والباحثين المهتمين الساعين إلى المشاركة في الحقل؛ بوصفهم دارسين أو ناشطين ملتزمين بإحداث تغيير اجتماعي.

اقتراحات لمزيد من القراءة والبحث

- مركز تطبيق أعمال وإستراتيجيات اللاعنف (كانفاس)، www.canvasopedia.org
- المركز الدولي للنضال السلمي، الحركات والحملات، http://nonviolent-conflict.org/index.php/movements-and-campaigns/movements-andcampaigns-summaries.
- The King Center, The King Philosophy, www.thekingcenter.org/king-philosophy#sub2.
- مركز كينج، فلسفة كينج، www.thekingcenter.org/king-philosophy#sub2.
- قاعدة بيانات أعمال اللاعنف العالمية، http://nvdatabase.swarthmore.edu/.
- شن اللاعنف، http://wagingnonviolence.org.